

## الطرثوث في خبر البرغوث

تأليف:

الجلال السيوطي

تقديم وتحقيق:

د. عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

## تقديم

لايستطع الإنسان العادي أن يتصور كيف أن صدر الإمام السيوطي يتسع للاهتمام بالتأليف حول مواضيع ربما اعتبرت عند البعض هامشية إن لم تكن من لغو القول وفضول الكلام! وإن إلقاء نظرة عابرة على ماتتضمنه اللائحة الطويلة والعريضة مما ألفه الجلال السيوطي لتجعل المرء يتساءل عن مدى البعد الثقافي الذي كان يتمتع به هذا الرجل العظيم الذي أعطانا بالدليل الملموس معنى صفة (المشارك) التي كان علماءنا القدامى يطلقونها على بعض فطاحلهم.

لقد ألف في القرآن وما إليه، وفي الحديث وما حواليه، وفي الفقه وما يتصل به، وفي الأصول والخلاف، وفي الأدبيات وما يتبعها وما ينضاف إليها، وفي الموسوعات والمجاميع والمعاجم والفهارس، وفي التاريخ، وفي عدد من المواضيع المستظرفة، إلى كتب أخرى مجهولة الفحوى. وقد كان له في علم الجنس بضعة تأليف مغربية منشطة كان منها على سبيل المثال (نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر)<sup>(1)</sup>.

وقد كان مما أثار انتباهي من كتبه تأليف في علم الحيوان (الزولوجيا) LaZoologie يحمل عنوان (الطرثوث في خبر البرغوث)، وقد كان ضمن قائمة المخطوطات العربية النادرة التي وقع الاختيار عليها من بين الموجودة

(1) د. أحمد الشرقاوي إقبال: مكتبة الجلال السيوطي، مطبوعات دار المغرب للتأليف

والترجمة والنشر، الرباط 1397هـ = 1977 م.

بالخزانة العامة للكتب والمستندات بالمغرب والتي قامت بتصويرها على الميكروفيلم الهيئة المتنقلة التابعة لليونيسكو<sup>(1)</sup>.

وهذه الرسالة تقع ضمن مجموع يحمل رقم ك/ 37 أي إن المجموع كان أصلاً من مكتبة الكتاني، وتوجد المخطوطة في القائمة اليونيسكية تحت خانة علم الحيوان (LaZoologie)، وهي من ست صفحات مسطرتها 23 سطراً - 20 ستيماً على 14. كتبت بخط مشرقى لا يخلو من أخطاء. كانت النسخة الوحيدة التي اعتمدت عليها، ولذلك فإنها كلفتني شططاً! وقد فصلها الجلال السيوطي على ثلاثة أقسام: المقدمة، والمقصد، والخاتمة.

لقد بدأ السيوطي مقدمته بالقول: بأنه كان في عمله هذا مقلداً لسلفه أبي الفضل ابن حجر الذي ألف كتاباً في الموضوع غير أنه أي السيوطي أضاف «زيادة» على سلفه...

ومع الأسف فإنه لم يكن في الإمكان الوقوف على مآلفه ابن حجر حول البرغوث، حجماً ومضموناً<sup>(2)</sup>، إلا أننا من جهة أخرى نجد أن الجلال السيوطي استفاد من كل من الجاحظ والدميري في تأليفهما حول الحيوان، ولو أنه أي السيوطي لم يذكر اسم الدميري الذي يذكر في صدر الذين اهتموا من العرب بالزولوجيا...

لقد خصص الجلال السيوطي المقدمة لذكر أسماء البرغوث وكناهه، ونحن نعلم أن العرب أثرياء في إعطاء الأسماء للحيوانات: القسط والأسد والصقر إلخ. وبالرغم من صغر حجم الرسالة البرغوثية التي لم تتجاوز ست ورقات إلا أنها مع ذلك تحتوي على ذكر عدد من الشخصيات ممن لها صلة

(1) وثيقة تحمل تاريخ 1962، الرباط، نسخة خاصة.

(2) توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة ليدن (هولاندا).

بالبرغوث وأخبار البرغوث... وصلت إلى نحو سبع وسبعين! هذا إلى عدد من المصادر والتأليف التي ذكرها ضمن المخطوطة والتي وصلت إلى نحو من أربعة وعشرين مصدرًا! علاوة على عدد من الأعلام الجغرافية التي وردت كأماكن يشتكى فيها من وجود البرغوث مثل بغداد ومدينة الفسطاط مما نحتاجه عند الحديث عن الجغرافية الطبيعية...

وقد تضمنت هذه الرسالة طائفة من الأمثال العربية التي قيلت في البرغوث الأمر الذي يؤكد أنه أي البرغوث ظل مشغلة للناس بالرغم من أن الرؤية لا تكاد تستوعبه في بعض الأحيان!

ومن ذا الذي يمكن أن يهتم بالبرغوث غير أهل العلم الذين يشعرون أكثر من غيرهم بمضايقته وتمكنه من فرض نفسه عليهم عندما يقطع أفكارهم ويشوش على تخيلاتهم وتصوراتهم...

برغوث واحد يغشى مجلساً يمكن أن يحوله إلى قوم واقفين مائلين قاعدين يبحثون عن هذا الطارئ الذي قد يحمل معه الحمى والطاعون، علاوة على ما يحمله - بالتأكيد - من أرق وسهر!!

وقد أمكنتني أن أقوم بجولة عابرة في بعض كتب التراث عما قيل في البرغوث فكانت مفاجأتي كبيرة وأنا أقرأ عن هذه الشونيزة أو نقطة المداد التي تستحل دم الكافرين والمسلمين على حد تعبير الثعالبي في يتيمة الدهر<sup>(1)</sup>.

ونحن في المغرب، وأعتقد أن البلاد الأخرى لا تختلف عنا، نتوفر على

(1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة - ج 2، دار

الكتب العلمية، بيروت.

عدد كبير من المرددات الشعبية التي تتصل بالبرغوث وذكائه المفرط وحيله غير المتناهية التي يتذرع بها للنجاة والتي يذكر في صدرها أنه يقفز أحياناً إلى الوراء على نحو طائرة الميراج!! وعلى نحو كلمة (الكرك): تقرأ ذات اليمين وذات اليسار، حيله التي تذكر في صدرها أنه خبير بكل وسيلة قد تتخذ لمنعه من رزقه، فهو لا يعبأ بالناموسيات المرتفعة المتعالية، ولا بالقمصان الطويلة الأردان والأبدان على حد تعبير الجاحظ...

ولكثر ما اهتم الناس بالبرغوث أعطوا اسمه لبعض رجالاتهم من أمثال برغوث أبي عبد الله محمد الجهمي أحد المناظرين للإمام أحمد وقت الخنة(1).

وقد اشتهرت حلقات ساحة جامع الفناء في مدينة مراكش بأحد زواتها المرموقين ممن حملوا اسم برغوث، كان يتوفر على كل ما يتصف به البرغوث من جنم صغير قميء، ومن حركات وسرعة ولسع وصعوبة إمساك، هزلي لا يضاهاى، بطن بارز تحت جبة من قطن أبيض، يلبس سروالاً ضيقاً ملوناً وقصيراً لا يتجاوز ركبتيه، ساقان مكشوفتان، تعلق رأسه شاشية حمراء دقيقة الرأس من النوع الذي يحمله أعوان الحكومة، لحية نقرها الشيب وعين تعبر عن دهاء وذكاء، كل ملامحه وحركاته تبعث على الضحك، إذا لم يضحك فالتناس يبتسمون وإذا ابتسم يضحكون وإذا ضحك يقهقهون، وإذا بكى يهيجون!

وكان من خصائصه في حلقة أن يختار أحد ذوي العاهات فيجلسه وسط الحلقة يستدر به شفقة المحلقين عليه لينفحوا المريض بصدقاتهم على

(1) الذهبي سير أعلام النبلاء، ج 10، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،

إيقاع ضرب الدفوف في جو من المحون والكلمات البذيئة اللاذعة...

ومن خصائصه التي سجن من أجلها أحياناً أنه، وقد حدث أن بعض الجهال أسند إليه منصب عال، قد جعل دعاءه- وكانت العادة عند سائر الخلائق أن يختموا جلستهم بأدعية تقليدية عادية- جعل دعاءه هكذا: (يارب امسخ هذه الدنيا حتى يصبح يرغوث من كبارها)<sup>(١)</sup>.

وبعد المقدمة يأخذ الجلال السيوطي في (المقصد) أي المقصود بالذات من الكتاب، ويتعلق الأمر بالناحية الشرعية والفقهية، وهنا نقف على أزيد من عشرة أحاديث نبوية تتعلق بالبرغوث<sup>(٢)</sup>، وتبرير وجوده في دنيا الناس، وأن علينا أن نضبط مشاعرنا فلا نتناوله بسب، ولا نستنزل عليه لعنة! والسيوطي يذكر إلى جانب هذا بعض «التمائم»- إذا صح التعبير- للتغلب على أذى البراغيث، وهي مروية عن بعض رجال العلم والذكر: وكان فيها ما يحمل هذه الآية الكريمة: ﴿ولنصبرن على ما آذيتموننا...﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢].

على أن الحافظ السيوطي إلى جانب هذه التميمية التي رواها، لم يتردد في الالتجاء إلى العلامة النباتي الشهير ابن البيطار لينقل عنه «وصفة» طبية تلخص في تلطيخ نحو عود بمادة لزجة من شحم الثعلب، يركز ذلك العود وسط البيت فلا يلبث البرغوث أن ينجذب إلى تلك المادة فيلصق هناك، تماماً على نحو ما يباع اليوم في بعض المخازن العصرية التي تهتم بما يطرد الحشرات... ولا نلبث أن نجد السيوطي هنا بين علماء التعديل والتجريح يعمل على

(١) ابن الشرقي: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ج ٢، ص 158.  
(٢) في جلسة خاصة في عمان مع المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني سألته ضبط هذه الأحاديث فأعد لي حفظه الله «تقييداً» على ما سذكروه عند الاقتضاء...

تركية رواية دون أخرى... وقد حصل منه هذا عندما استطرد - فلسفياً - بذكر نازلة تتصل بقتل البرغوث وبالإجهاز على الحيوان عموماً... وهل إن نهاية الحيوانات هي على حد سواء مع نهاية الإنسان، كل من عند الله أو إن أمر الإنسان بيد ملك الموت، بينما الحيوانات الأخرى لها منحى شرعي خاص؟ إن المبتدعة يقولون بالتفرقة بين الأرواح: بمعنى إن بعضها موكول إلى خلقه وبعضها موكول إلى الله ذاته، حديث طويل هنا يتناهى فيه إلى الكل بيد الله...

هذا كل ما في الفصل المعنون بالمقصد... أما الفصل الذي يحمل عنوان الخاتمة، فقد ساق فيه عدداً لا يستهان به من ضروب الشعر مما يطول أو يقصر وعلى مختلف البحور والأوزان... وكله يدور حول البرغوث... ويشعر المرء بمتعة زائدة وهو يستمع إلى أولئك الشعراء وهم يعبرون بمختلف الطرق عما يحسون به إزاء ذلك البرغوث!! زهاء إحدى وعشرين قطعة!.. فيهم من استوقفته جراءة البرغوث وجسارته على المضي قدماً في أداء مهمته غير مكترث بأسر أو حصار أو قتل! إنه من لصوص الليل الذين يستغلون فرصة الظلام لينتزعوا أثمن ما عندك! ليفقدوك الراحة والاطمئنان! وهناك شاعر آخر يقول: إنها أي البراغيث أشبه ماتكون بالجرافات التي تأتي على الآكام فتهددها!!

والطريف في بعض هذا الشعر أنه يعيد إلى ذاكرتنا تراثاً علمياً أصيلاً بل بالغ الأصلة، ويتعلق الأمر بالخطاب عن طريق إشارات أصابع اليد وإشارات عقداتها (La dactylonomie) على نحو ما نراه اليوم في التلفزة الموجهة إلى البكم والصم، عندما تقف المذيعة أو المذيع ليقدم للنظارة الأخبار والأحاديث عن طريق حر كات أيديه وأصابعه!..

فعلاً وجدنا اثنين من الشعراء: أحدهما من القرن الخامس الهجري والثاني من القرن السادس والسابع، هذان الشاعران هما: الخوافي وابن مطروح، عندما كانا يتحدثان عن طريقة انتقامهما من البرغوث، عوض أن يقولوا إنهما فركاه بين أصابعهما فركاً... عوض ذلك استعمالاً طريقة تراثية ما أجدرنا اليوم أن نبعثها من مرقدتها مرة أخرى، وهكذا فعوض أن يقولوا إن البرغوث وقع بين سبابتها وإبهامها، عوض ذلك عبراً بقبضة الثلاثين، وقبضة السبعين... ومعلوم أن العرب في سالف عهدها كانت إذا أرادت التعبير عن رقم ثلاثين عمدت إلى جمع رأس الإبهام برأس السبابة، وإذا أرادت أن تعبر عن رقم سبعين وضعت رأس الإبهام على العقدة الوسطى من السبابة... والحالتان معاً تصوران وضع الإنسان وهو يفرك البرغوث بعد أن يظفر به..!

يقول الخوافي:

تسلمه الثلاثون اختماراً إلى سبعين في أسر المنون!

ويقول ابن مطروح:

أمكنت قبضة الثلاثين منه فسقته الحمام في سبعينا!!

ويضيف هذا الأخير متحدثاً عن «العنت» الذي كان يشعر به وهو يتلقى لسعات البرغوث فيقول إنه كان يشعر بأن قلبه في قبضة التسعين من جراء تلك اللسعات، رقم التسعين كما قلنا يؤدي -بمقتضى حساب عقد الأصابع- بوضع طرف السبابة على قاعدة الإبهام<sup>(1)</sup>.

(1) أخبرني الزميل د. رمضان عبد التواب عميد جامعة عين شمس 1993/10/07 أنه كتب مقالاً حول هذا الموضوع في آخر عدد من مجلة معهد المخطوطات العربية... لكن لم أتمكن من الوقوف عليه...



وهناك شاعر آخر يشبه البراغيث - على صغرها - بالأفاعي الرقش!  
وهذا يعبر عن مدى المرارة التي يحس بها الإنسان وهو يحرم من النوم حتى  
ليستقبل صباحه وأجفانه على حال من الانتفاخ وسوء الحال! عدو يصارعك  
في الظلام وأنت لاتراه، لكنه يراك بحسه المرفه! يغدو فراشك الوثير وكأنه  
مفروش بحسك!! يحمك ذلك على أن تزهد في ذلك الفراش لتزوي في  
ركن تشتكي مما لحقك من ظلم!

وفي الشعر ماتتحسس فيه العنصرية التي كانت تطبع حياة الناس في  
العصور الوسطى، فالشاعر وقد وجد نفسه بين جيش من البراغيث السود  
يشبه نفسه بملك الروم (الأبيض) الذي نُصب له كمين من قبل الصنف  
الأسود، كأن هذا الصنف يحسد ملك الروم على لونه الأبيض، ولذلك فإن  
هذا الأخير يتعرض للنهش من قبل السود!!

ومن الشعراء من وضع رسماً كاريكاتورياً لحالة طبقة معينة من  
المجتمع، فشبه البراغيث - وهي تمتص دماء الأبرياء - ببعض الحكام الذين  
يجدون في أموال المحاجير التي تناهت إليهم، يجدون فيها مرتعاً للاستغلال!  
وقد تكرر أداء هذه الفكرة حيث وجدنا شاعراً آخر يشبه البراغيث  
وهي تمتص من دم الناس بما يقوم به بعض اليهود من ابتزاز أموال  
القاصرين!!

ومنهم من توأطأت عليه أسراب الناموس والبرغوث معاً. فالناموس  
يشرب من دمه والبرغوث يرن في أذنه فهو بين جحيمين اثنين!  
وفي هذا المعنى أيضاً نجد أحدهم يشبه الاثنين: البرغوث والناموس  
برجلين انتشيا خمراً فأخذ أحدهما يغني وأخذ الآخر يرقص!!  
والفرق بينهما أن السكران احتسى خمراً من عنب، بينما الحشرتان

انتشيتا من دم هذا الشاعر المسكين!!

وبعضهم - وقد راعه الحرمان من النوم - أخذ يصف الهجمات العشوائية للبرغوث والبعوض... بأنها نزو من غير ما شعور بلذة! وقول للشعر من غير ما احترام للقافية!!

وفي الناس من كان يتهيب حلول الليل الذي يقترن بالنفير الذي تعلنه البراغيث على الذين يجلسون للسمر إلى جانب الحبيب والقنديل!!

ولم يسلم بعضهم من أذى البراغيث حتى عند الظهيرة عندما يلجأ الناس إلى القيلولة... وفيهم من نحا في التشبه منحى آخر، فهو يقول إن البراغيث طغت عليها نشوة الشرب من دمه فعلت بعدما نهلت، وبالغت في السكر حتى أخذت تتقيأ دمه على ثيابه في رائعة النهار!!

وفيهم من امتحن بالباءات الثلاث: البرغوث والبعوض والبق فوضع صورة طريفة لهذا الثلاثي الوقح بعد أن اشترك في امتصاص دمه الذي أسكره: فأخذ البرغوث يرقص أمام تزمير البعوض بينما كان البق مصيحاً بسمعه للزمر.

ونحن في الحديث عن إطلاق «الرقص» على وثب البراغيث نجد أحد الشعراء يذكر أن هذه البراغيث عندما ترقص فإن الناموس يجيئها بغنائها، وأن البق في هذه الأثناء يعتريه «التواجد» فيهوي على دم الضحية يحتسيه خمراً يزيد في طربه!!

وعندما زار أحدهم مدينة الفسطاط، كان يحلم بأنه سيعيش في سعادة زائدة عندما يقضي ليلته بالمدينة التاريخية، لكنه لم يلبث أن شعر بالحياة وقد تعرض لغارات البراغيث! إنه أمسى يتمنى أن يرى الشمس التي تخلصه من شرور هذا الحيوان... إنه يتمنى أن يقضي ليلة واحدة فقط دون براغيث!!

ومن الشعراء من رأى أن يرفع عقيرته بالشكوى إلى أعظم سلطة في البلاد على نحو ما يرفع المظلومون شكواهم إلى السلطان!! إنهم ماينفكون يحكون جلودهم وصدورهم وأفخاذهم.

وإذا كان هذا الشاعر قد توجه بشكواه إلى صاحب بغداد فإن شاعراً آخر استعصى عليه أن يعرف إلى من يتوجه بالشكوى من هذا الحيوان الذي أراق دمه وأرق جفنه!

وفيه من ملح إلى الموقف الفقهي من استباحة قتل البراغيث وهو في هذا الصدد يشير لمصرع الحجاج بن يوسف الثقفي في الحرم، وكأنه برغوث كان هدر دمه من الحلال الطيب! وفي هؤلاء من استوحى في شعره من الفكرة القائلة: إن البرغوث إنما يمتص الدم الفاسد الزائد!! وإن لسعته ذات فائدة على المعضوضين لأنها تنبههم لأوقات الصلاة!!

ومنهم من يرى في البراغيث عظة للذين يغترون بقوتهم فيحتقرون الضعيف لمجرد أنه قميء ضعيف، ألا ترى أن البرغوث - على صغر حجمه - كان في استطاعته أن ينتقم من هذا الإنسان القوي أعظم انتقام، ويحرمه من لذائذ المنام.

وقد شبهه أحدهم بالأفعوان، وأعطاه آخر صفة الليث في وثباته، ولقد تحمل بعضهم عناء الصبر، والبرغوث يفرز مخالفه في أجسامهم، لكنهم لم يطيقوه عندما يتسرب إلى آذانهم... ونحن نعلم أن الأدب الفرنسي يضرب المثل في الإزعاج والقلق بهذا الحال: «Avoir la puce a' L' oreille» .

فإذا ما أضفنا إلى هذه الأشعار جملة وافرة مما ورد عند الجاحظ في (كتاب الحيوان)<sup>(1)</sup>، وعند الدميري في (حياة الحيوان الكبرى) وما ورد في

(1) ينظر على الخصوص الجزء الخامس بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبع دار الجيل، بيروت، ودار الفكر، ص 373-384 وما بعدها إلى 392.

(نفع الطيب) للمقري (1). وجدنا أنفسنا أمام شبه ديوان من الشعر ثري واسع مما قالته العرب في البرغوث!!

هذا طبعاً إلى إسهام النثر الرفيع في وصف هذا القزم العملاق في آن واحد، الذي خلقه الله وكأنه جزء لا يتجزأ من الليل، يكمن نهاره ويسري ليله...؟ يجر ذيله على الجيابرة، ويهتك ستر كل الأبواب، ولا يحفل بواب، ولا تمنع منه أميرة ولا أمير!!

وبين هذا وذاك نقرأ في المخطوطة سطوراً عن الجانب العلمي في حياة الحيوان La Zoologie ... فهو يذكر أن عمر الذباب أربعون يوماً، وأن عمر البعوض ثلاثة، والبرغوث خمسة... وأن أصله أي البرغوث من التراب... وأنه صورة مصغرة جداً لشكل الفيل الأمر الذي تؤيده المعلومات الحديثة وأنه من الحيوانات التي تطيل السفاد شأنه في ذلك شأن الحشرات المشابهة (2)، التي تبيض وتفرخ... والذي نريد أن نقوله بهذه المناسبة إن معظم هذه

(1) كان مما قاله ابن الخطيب وقد اتابه البرغوث:

زحفت إلي ركائب البرغوث	تم الظلام بركبها المحشوث
بالحبة السوداء قابل مقدمي	لله أي قرى أعدد، حبيث
جيشان من ليل وبرغوث، فهل	جيش الصباح لصرختي بمغيث؟

وقد أورد ابن الخطيب في الإحاطة شعراً عن برغوث، فيه التجنيس:

بتنا نكابدهم القحط ليلتنا	وأ نجد السهد والكرب البراغيثا
وكان يحمد ما كنا نكابده	من المشقة لو أن البرى غيثا!!

النفع، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، ج 6، ص 484.

ابن الخطيب: الإحاطة 4، 517.

(2) ذكر لي زميلي العزيز د. محمود حافظ المتخصص في علم الحشرات ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن مرد ذلك إلى اشتباكات عضوية تجعل من الصعب على البرغوث أن ينفصل عن البرغوثة قبل مرور بعض الوقت...

المعلومات العلمية كانت تعززها المعلومات التي قدمتها إلينا الموسوعات المتخصصة...

وهكذا فإن المخطوطة تكون إسهاماً جيداً في أخذ فكرة عن مدى حضور الفكر العربي في كل مناحي الحياة اليومية، وكل الاهتمامات التي تشغل بال الناس آناء الليل وأطراف النهار وبالتالي فإنه إسهام جيد في العلم الذي أصبح معروفاً اليوم باسم الزولوجيا...

٢

كتاب اسرار طيور في غير البرغوث في كتاب المصنف في تاريخ السيرة في سنة الف ليلة وليلة  
 بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و لله على عباده الدين اطلعتي وبعد فقد انقضا حفظ العجم الو  
 الفضل ابن حجر اسماء البسط المشو في خبر البرغوث وقد اجزا فيه افادة تحتوي على ذلك  
 وزياده يسمى بالطرثوث في نوادر البرغوث فيه مقدمه ومغصه وحائمه المقدمه البرغوث  
 بضم الباء اكثر من كرها وفتحها واوا ومثلثة والواحدة برغوثه وجمعها براغيث ومن اسماء البقعة  
 والقذذ والجمع قذذان بالكسر والابار بوزن كنانة والقذذان بالكسر وتشد يد الذال المهمله قال الرازي  
 يا ابتار قن القذذان فالنوم لا تطعمه العبيان ويقال له طامس بن طامس ويكنى ابا طال وابعدي و ابا  
 الوثاب وهو من الحيوان الذي له الوشب الشديدي ويشب الى ورايه من كرام الى احظ من نبي البرغوث  
 انه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل وهو يطير الفساد ويبيض ويفرغ بعد ان  
 ينوال ويغشا او من التراب وسلطانه اخر فصل الشتاء وان فصل الربيع ومن كلام بعض البلغاء  
 اذ في البراغيث اذ البراغيث وهو احدث نزل ويقال انه على صورة الغيل وله انياب بعض بها  
 وخرطوم يحس به وقالوا في الامثال اطهر من برغوث واطير من برغوث ولا فعله حتى نفي البرغوث  
 ذكره القوي في الامثال المتعدد روي احمد والخولي في الادب المفرد والبزار والطبراني في المعجم  
 والبيهقي في شعب الایمان عن ابي ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه  
 فانه يقظ نبياً من الانبياء الصلاه النجر وروي الطبراني في معجم والبيهقي في شعب الایمان عن ابي  
 نال ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انها لتوقظ للصلاة وروي الطبراني  
 عن علي قال نزلنا منزلا فاذا ننا البراغيث فسيبناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوه ها  
 فنصحت الدابة فانها لا يقظكم لذكر الله وقرية البيهقي عن ابي الحسن قال لعن رجل برغوثا عند النبي صلى  
 الله عليه وسلم فقال لا تسبه فانه يقظ نبياً من الانبياء للصلاة وروي المستخرج في الدعوات  
 عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ذاك البرغوث غز قد حامن ما قرأه عليه سبع مرات وما  
 لئان لا تنوكل على الله الاله فان كنت مومنين تعلقوا بشركم واذا كتمت عنكم قولوا انك  
 فانك تبيت آمن من شرها وروي الديلمي في مسند الفردوس اما ابو سعيد ثابته احمد  
 ابن عقيل الصيرفي بنى ابو الحسن محمد بن القاسم الفارسي ساعد الرحمن بن محمد الانصاري سا  
 يظن من احمد سادا وبن الحسين ساعد الله بن عبد الوهاب الخزازي ساعاصم بن عبد الله

اجلا

بها

الصفحة الأولى من مخطوطة الجلال السيوطي

"الطرثوث في خبر البرغوث"

عن الخزانة العامة - الرباط



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى:

وبعد، فقد ألف حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر جزءاً سماه (البسط المبتوث في خبر البرغوث)<sup>(1)</sup>. وهذا جزء فيه إفادة تحتوي على ذلك وزيادة، يسمى (الطرثوث<sup>(2)</sup>) في فوائد البرغوث، فيه مقدمة، ومقصد وخاتمة.

### المقدمة:

البرغوث بضم الباء أكثر من كسرهما وفتحها، وثاء مثلثة والواحدة: برغوثه وجمعه براغيث.

ومن أسمائه القُدَّة والقُدذ، والجمع قِذَان بالكسر، وتشديد الذال المهملة<sup>(3)</sup>؟ قال الراجز:

يأبئسا أرقني القِذَانُ فالنوم لا تطيقه العينان

(1) لم تذكر المصادر معلومات عن تأليف ابن حجر هذا (ت 852=1449)، وذكره السخاوي والسيوطي كما ترى وحاجي خليفة، انظر الجواهر والدرر- الورقة 152 ب. نظم العقيان 47- كشف الظنون، مجلد 1/245 وتوجد نسخة منه في جامعة ليدين. The library of the University of Leiden P. 500 Brock-lomann G.L.S II 94.

(2) الطرثوث: خصص لسان العرب لهذه الكلمة حصّة مسهبة، وملخصها أن الطرثوث نبت يؤكل، أشبه مايكون بالفطر والكمأة، دباغ للمعدة نافع لها، واحدته طرثوثه، وقال أبو زياد الطرائيث تتخذ للأدوية. وتطرث القوم: خرجوا يجتثون الطرائيث، كمأة مالطة: (Champignon de Malte).

(3) لعل كلمة (المهملة) خطأ من أحد التلامذة الذين نسخوا الكتاب فإن الذي في كتب اللغة المتداولة أن الذال معجمة.

ويقال له: طامر بن طامر<sup>(1)</sup>، ويكنى أبا طافر وأبا عدي وأبا الوثاب، وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد، ويثب إلى ورائه<sup>(2)</sup>! وذكر الجاحظ عن يحيى البرمكي أنه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل<sup>(3)</sup>، وهو يطيل السفاد<sup>(4)</sup>، ويبيض ويفرخ بعد أن يتوالد، وينشأ أولاً من التراب، وسلطانه آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع، ومن كلام بعض البلغاء: (أذى البراغيث إذا البرى غيث)<sup>(5)</sup>! وهو أهدب نزاء، ويقال: إنه

(1) من التعابير السائدة أنه يقال للرجل طامر بن طامر: إذا لم يدر من هو - على نحو هيان بن بيان، والطمور: شبه الوثوب في السماء أو التحفز إلى الأعلى.

(2) معلومة عن (حياة الحيوان الكبرى) للشيخ كمال الدين الدميري ولو أن السيوطي لم يذكر الدميري. طبعة دار الفكر، لبنان، ج 1، ص 133، وتؤكد المصادر العلمية الحديثة أن البرغوث لا يتوفر على أجنحة وإنما يعتمد على الوثوب...

(3) كتاب الحيوان تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج 5، بتحقيق وشرح الزميل الراحل عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 373، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1970 ج 3، ص 470، وعن يحيى بن خالد البرمكي، انظر كذلك الوفيات ج 6، ص 219-129.

(4) معلومات عن الدميري... وتذكر الكتب العلمية أن الأنتى من البيض تبيض مئة بيضة تقريباً: 10 في كل ولادة، يقع البيض في الغالب على الأرض ولا يلصق بجسم الإنسان وخلال ثلاثة إلى عشرة أيام - حسب الحرارة - تخرج الفراخ (اليساريين)، تخرج بدون أرجل، كثيرة الحركة، وعلى رأسها شوكة بها توصلت لكسر البيضة عند خروج تلك اليساريين... ويلاحظ أن المخطوطة ترسم (السفاد) عوضاً عن (السفاد)... ومن الطريف أن نقرأ في كتاب الحيوان للجاحظ أن البراغيث تتناكح وهي مستديرة ومتعاطلة، وهي من الجنس الذي تطول ساعة كومه! هذا وقد دفع بي هذا الموضوع إلى تتبع (حياة الحيوان) فيما يتصل بالممارسة الجنسية، وكان من أطرف ما وقفت عليه بالنسبة لشمساح أنه إذا أراد السفاد خرج هو والأنتى إلى البر فيلقياها على ظهرها ويستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويس ظهرها!! حياة الحيوان الكبرى لكامل الدين الدميري، ج 1، ص 122-163، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(5) يعني أن البرغوث يظهر عندما ينزل الغيث (المطر) على البرى أي التراب، والتعبير تأكيد لما قرره قبل قليل من أن سلطان البرغوث يكثر آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع.



على صورة الفيل، وله أنياب يعض بها، وخرطوم يمص به (1) وقالوا في الأمثال: (أطمر من برغوث) (2)، و (أطير من برغوث)، و (لا أفعله حتى يحج البرغوث)! ذكره القمي (3)، في الأمثال.

### المقصد:

روى أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبخاري والطبراني في الدعاء والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس أن النبي ﷺ سمع رجلاً يسب برغوثاً، فقال: لاتبه، فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء لصلاة الفجر...

وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس، قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ، فقال: إنها لتوقظ للصلاة (4).

(1) تؤكد المعطيات العلمية الحديثة هذه المقولات وتؤكد أن له خرطوماً كخرطوم الفيل يمتص به دم الضحية بعد أن يخرقها بأنيابه.

(2) مجمع الأمثال للميداني، 1، 441.

(3) ورد هذا المثل في كتاب (المستقصى في الأمثال للزمخشري)، هذا ولم يتضح لي المقصد من القمي الذي أسهم في تراث الأمثال - رياض عبد الحميد مراد: معجم الأمثال العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1407=1986.

(4) كما سبق أن قلت في تعليق سابق استنجدت حول هذه الأحاديث بخبرة الشيخ الألباني أبي عبد الرحمن الذي مهد لجوابه بأن هناك قواعد علمية مقررّة في علم مصطلح الحديث بمقتضاها وعلى أساسها يمكن أن يصحح الحديث أو يضعف، وبعد أن يذكر أن الحافظ السيوطي لم يكن موقفاً البتة من الناحية الحديثية يفيد أن هذه آفة ظاهرة معروفة في كتبه، ومن هنا عقب الألباني على الحديث الأول المروي عن أنس بما ملخصه أن السيوطي تابع للدميري والحافظ السخاوي، وأنه لم يصح شيء عن النبي ﷺ في شأن البراغيث ويحيل الشيخ في الأخير على المجلد الثالث عشر من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ثم يذكر أن الحافظ ابن حجر الذي ينقل عنه السيوطي أنكر عزو حديث أنس إلى أحمد... إلى تعقيبات أخرى كانت من توافق الخواطر بين ابن حجر والألباني. الأمر الذي يؤكد أن القواعد العلمية المقررّة في علم مصطلح الحديث تظل هي القول الفصل فيما يتصل بصحة أو ضعف الحديث.

وروى الطبراني عن علي، قال: نزلنا منزلاً وآدتنا البراغيث فسببناها، فقال رسول الله ﷺ: لاتسبوها، فنعمت الذابة فإنها أيقظتكم لذكر الله (١)!

وأخرج البيهقي عن أنس قال: لعن رجل برغوثاً عند النبي ﷺ، فقال: لاتلعه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة.

وروى المستغفري في الدعوات عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقراً عليه سبع مرات: ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢]، فإن كنتم مؤمنين فكفوا شركم عنا، ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمناً من شرها (٢).

وروى الديلمي في مسند الفردوس (٣): ثنا أبو سعيد ثابت بن أحمد ابن عقيل الصيرفي (ثنا) أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي (ثنا) عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ثنا) بشر بن أحمد ثنا داوود بن الحسين (ثنا) عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي (ثنا) عاصم بن عبد الله (ثنا) إسماعيل بن حكيم عن أبي مريم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: يا أبا الدرداء، إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء واقراً عليه سبع مرات: ﴿وما لنا ألا نتوكل على

(١) يعلق الشيخ الألباني على حديث علي رضي الله عنه بأن في سنده متهماً بالوضع وهو سعد بن طريف الذي كان يضع الأحاديث علاوة على أن هذا الحديث يختلف تماماً عن متن حديث أنس فإنه يتحدث عن قصة وقعت للصحابة وليس لثني من الأنبياء...

(٢) الحديث عن أبي ذر وكذا الحديث الآتي بعده عن أبي الدرداء، يقول عنه الشيخ الألباني: إن إسناده مظلم لأن فيه عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي الذي يقول عنه أبو نعيم: إن في حديثه نكارة... ثم يحيل الشيخ مرة أخرى على المجلد الثالث عشر سالف الذكر.

(٣) مسند الفردوس أو مختصر فردوس الأخيار لأبي نصر الديلمي... اختصره الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وسماه تسديد القوس (في) مختصر مسند فردوس - كشف الظنون ج ٢، طبعة مكتبة المثني، بغداد: ص 1583-1684.

الله ﴿ الآية، فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا، ثم ترش حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرهم.

وروى ابن أبي الدنيا في «التوكل» أن عامل إفريقية<sup>(١)</sup>، كتب إلى عمر ابن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، قال زرعة بن عبد الله أحد رواته: وينفع من البراغيث.

### مسألة:

روى الحافظ أبو بكر الخطيب في رواية مالك عن سليمان بن مهير الكلابي، قال: حضرت مالك بن أنس، وسأله رجل عن البراغيث: أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق طويلاً، ثم قال: ألهها نفس؟ قال: نعم، قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٢].

وأيده بعضهم بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم كلاهما في (معرفة الصحابة) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن الحارث ابن الخزرج عن أبيه<sup>(٢)</sup>، أن رسول الله ﷺ نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: طب نفساً وقر عيناً... الحديث وفيه: والله لو أردت قبض

(١) القصد إلى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي قدم القيروان سنة مئة وقد كان خير أمير وخير وال كما يذكر ذلك المؤرخون... وذكر أبو العرب في تاريخ إفريقية أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين. هذا وقد علق الألباني على الأثر الذي عزي لابن أبي الدنيا وفيه قول زرعة: وينفع من البراغيث، بأن زرعة مع كونه ليس صحابياً ولا تابعياً فهو مجهول ضعيف الحديث.

(٢) يعلق الشيخ الألباني على حديث الحارث بن الخزرج عن أبيه بأنه موضوع، آفة سنده عمرو الذي كان يروي الموضوعات ولذا قال الحافظ: متروك الحديث.

روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها  
وقال الجزولي المالكي في شرح الرسالة(1): مما يجب اعتقاده أن ملك  
الموت يقبض الأرواح من الجن والإنس والبهائم وجميع المخلوقات خلافاً  
للمبتدعة الذين يقولون: لا يقبض إلا أرواح الثقلين: الإنس والجن.  
وأورد القرطبي في التذكرة حديث جعفر بن محمد السابق ثم قال:  
وفي هذا الخبر ما يدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذي روح.  
وأورد ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ثابت البناني(2)، قال: الليل  
والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلا ملك  
الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب، ثم قال: وهذا عام في  
كل ذي روح.

ثم نقل عن ابن عطية(3)، أنه قال: روي في الحديث أن البهائم كلها  
يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت لأنه يعدم حياتها، قال: وكذلك الأمر

(1) القصد إلى أبي زيد عبد الرحمن الجزولي المتوفى (741 = 1340) والذي كان  
من تلامذة أبي الحسن الصغير وأستاذاً للشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي، وله شرح على رسالة  
الشيخ أبي زيد القيرواني: الأول في سبعة أجزاء، والثاني في ثلاثة، والثالث في جزئين. هذا - د.  
النازي: المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج 1407=1986،  
ص28.

(2) يعلق الألباني على أثر ثابت البناني الذي عزاه لأبي نعيم في الحلية بأن ثابتاً ولو أنه  
تابعي ثقة فهو أثر مقطوع موقوف عليه... إلى آخرها. أورد الشيخ عن محمد بن الحسن بن علي  
ابن بحر الذي يوجد ضمن سند الأثر المذكور...

(3) القصد بابن عطية إلى القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المتوفى سنة  
546هـ وهو مؤلف التفسير المعروف به المسمى المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز الذي  
طبعته أخيراً وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحقيق من المجلس العلمي بفاس ابتداء من عام  
1395=1975.

في بني آدم إلا أنه شرف بتصرف ملك الموت وملائكة معه في قبض أرواحهم، انتهى.

والحديث الذي أشار إليه أخرجه أبو الشيخ في (كتاب العظمة)(١)، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي (ثنا) أبو زيد القراطيسي (ثنا) الوليد بن موسى القرشي. (ثنا) الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن بن أنس(2)، قال: قال رسول الله ﷺ: آجال البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك(3)، آجالها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت منها شيء.

وقال العقيلي في (الضعفاء) ثنا يوسف بن يزيد (ثنا) الوليد بن موسى الدمشقي فذكره بسنده ومنتنه سواء، ثم قال: لأصل له من حديث الأوزاعي

(١) أبو الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الحافظ أبو محمد الزان المعروف بأبي الشيخ ابن حبان توفي سنة 369هـ. من تصانيفه طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها كما هو على غلاف مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق وكما طبع منها أخيراً في بيروت على ما أفاده الشيخ الألباني، وكذا كتاب العظمة وغير ذلك. إسماعيل باثنا البغدادي: هدية العارفين، إستانبول 1951. جزء 1، ص 447.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث أنس: آجال البهائم بأنه حديث موضوع ويحيل مرة أخرى على تأليفه سالف الذكر حول الأحاديث الضعيفة. وقد نص الحافظ السيوطي نفسه على هذا في متن النص...

(3) تطرح في هذه الأيام مسألة ذكاة بعض الحيوانات عن طريق سلقها في الماء الحار... مثل الجنان (Langouste) والحلزونات... إلى آخره وهل إن في ذلك تعديلاً للحيوان... ومعلوم أن كتب الفقه نصت على أن الحيوان الحلال الأكل لا مناقشة في طريق ذكاته ذبحاً أو نحرأً أو إخراجاً من الماء أو سلقاً في الماء الحار...

ولا غيره، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: موضوع، والمتهم به الوليد: أحاديثه بواطل يروي عن الأوزاعي مالميس من حديثه.

وقال الذهبي في (الميزان): الوليد بن موسى قال فيه الدارقطني منكر الحديث، وقواه أبو حاتم وقال غيره: متروك ووهاه العقيلي وابن حبان وله حديث موضوع انتهى. هذا الحديث مما أورده صاحب الفردوس، وعز تخريجه على ولده فبيض له في مسنده ولم يذكر له إسناداً وهو في كتابين شهيرين (1)، كما ترى (2).

### الخاتمة :

من الأمثال المشتهرة العربية: أكلوني البراغيث، وهي لغة طيئ، وفي التبيان لابن العماد: كان أبو هريرة يفتلي ثوبه فيبدأ بالبراغيث ثم يعود إلى القمل، فقيل له في ذلك، فقال: أبدأ بالفرسان ثم أكر على الرجالة! وفي بعض المجاميع قال بعضهم: عمر الذباب أربعون يوماً، والبعوض ثلاثة أيام، والبرغوث خمسة أيام (3)...

(١) يعني كتاب الضعفاء للعقيلي وكتاب (العظمة)...

(٢) لعل من تمام الفائدة بعد انتهاء الكلام عما يتصل بالأحاديث أن نذكر أن الشيخ الألباني، ذكر أنه كان على الحافظ السيوطي أن يحاول دعم ما قد يكون في تلك الأحاديث أو بعضها من معنى صحيح قد يوجد في النصوص الأخرى الثابتة ما يشهد له فيكتفي بها عن الاحتجاج بمثل تلك الأحاديث الواهية. هذا وعملاً بالحكمة السائرة «استتمام المعروف خير من ابتدائه» تطوع الشيخ الألباني بذكر بعض الأحاديث التي تنهى عن سب الدهر وسب الرياح ولعن الديك ونحوه مما لا يستحق اللعن...

(٣) لم تعرض الكتب العلمية الحديثة التي تتوفر عليها للأمد الذي يمكن أن تعيشه هذه الهوام.

Encyclopaee Dia Universalis, Vol 2, P: 113, Vol 12, P: 818, Vol 16, P: 443- J. C. Beacournu: Bulletin de l'Institut Scientifique- Rabat 1978, N 2, P: 85- 86.

وقال علاء الدين الوداعي (1): (متقارب)

براعيشنا فيهم جرأة  
كثيرو الإساءة مع أنهم  
فبالأسر والقتل لا يرجعون  
قليلاً من الليل ما يهجعون!

وقال أيضاً مضمناً: (طويل)

براعيث تسري في الظلام كأنها  
قوارص تأتيني فيحتقرونها  
حرامية من مص ما يسفك الدم،  
وقد يملأ القطر الإناء فيفعم!  
وقال أيضاً: (طويل)

براعيث فيها كثرة فكأنها  
يقولون لي: صفها! فقلت: أعندكم  
علينا من الآكام يحترفونها  
قوارص تأتيني فتحقرونها؟!  
وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح (2): (خفيف)

رب برعوث ليلة بت منه  
أمكنت قبضة الثلاثين منه!  
وفؤادي في قبضة التسعيننا  
فسقته الحمام في سبعينا (3)!!

(١) هو علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، ويقال له ابن عرفة، كان عارفاً بالحديث والقراءات له (التذكرة الكندية) أدركه أجله بدمشق عام 716 = 1316 .

(2) القصد إلى جمال الدين بن مطروح أبي الحسن يحيى بن عيسى... من أهل صعيد مصر... وتنقلت به الأحوال... واتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب... وهو صاحب القصيدة في الفرنسيين عندما سمع بتأهبهم مرة ثانية لحرب مصر! ترجمه ابن خلكان الذي كان من أصدقائه ومن مراسليه، وهو الذي قال عنه: إن أدواته جميلة... وقد ذكر من طرفه ماوردنا بعضه في دراستنا لحديث الرحالة المغاربة عن القدس والخليل.

(3) من الطريف أن نقف في شعر ابن مطروح الذي أورده السيوطي هنا، على إشارة جد هامة لما عرفه العرب في حسابهم القديم مما عرف باسم حساب العقد أو العقود وهو أن =

وقال ابن عساكر في تاريخه: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن

منصور الموصلبي الشاعر الضرير لنفسه في البراغيث: (بسيط)

مالببراغيث أشباه تقاس بها      إلا أفاعٍ بقيعان الفلا رقش  
ورب ليل طويل بت ساهره      حتى الصباح وليلي طابير دغش  
وللبراغيث جيش قد ضنيت به      على قتالي في الظلماء منكمش  
كأن ظهر فراشي حين يفرش لي      منهن بالحسك الميثوث منفرش!  
فلو رأيت انفرادي في الظلام وما      فيهن إلا ظلوم واثب هرش!  
حسبتني ملكاً للروم أوقعه      صرف الزمان بأرض أهلها حبش(١)!  
فأنكروا منه لوناً غير لونهاهم      فكلما ملئوا من لحمهم نهشوا!!  
أنظر إلى مقلتي من طول ماسهرت      منهن كيف اعترى أجفانها العمش!!

= يؤدي المرء الأرقام التي يريدتها عن طريق اتخاذ أوضاع خاصة لعقود أصابعه: (La dac-tylonomie)، مثلاً إذا أراد أن يقول 30 جمع طرفي الإبهام والسبابة، وإذا أراد التعبير عن 70 وضع طرف إبهامه على العقد الوسط من سبابه، وإذا أراد التعبير عن 90 وضع طرف سبابه على قاعدة إبهامه. وأنت إذا عرفت أن الشاعر يتحدث عن طريقته للانتقام من البرغوث، وتصورت مع هذا وضع الأصابع وإحكامها القبضة على هذا البرغوث، تصورت إذن معنى ما يقصده من ضيق صدره الذي أمسى لا يتجاوز قبضة التسعين وما يقصده من عرك البرغوث في قبضة الثلاثين ثم القضاء عليه في قبضة السبعين. - د. التازي: الرموز السرية.

CH. Pellat: Hisab al Akd, Ency . de l'islam, nouvelle édition T. III, P: 482, 1965.

(١) يمكن أن نتصور التشبيه في هذا الشعر إذا ما جعلنا نصب أعيننا منظرًا لوجود

لأصحاب القبعة الزرق حالياً- غشت 1993- في الصومال... هذا وقد وجدنا على هامش الورقة رقم 5 طرة تتضمن شعراً ناقصاً من البحر الخفيف لاصلة له بالبرغوث وهي تقول:

بالجسم من لطفه أودع الجمـ      ر خفايا الحشا وطيب الهواء  
فغدا جسسه مراتع أنهمـ      ر الهوى...



وقال صاحب الشهاب المنصوري: (منسرح)

أذى البراغيث لم يدع أحداً  
يرقد ليلاً إذا البرى غيثاً(١) !  
فياكلون إلى الصباح كما  
تأكل حكامنا المواريثاً!!  
وقال أيضاً: (طويل)

وليل طويل بات همي مجمعا  
به، ومنامي في دجاء تشتتا  
إذا شرب الناموس خمر دمي شدا  
وإن دخل البرغوث أذني زغرتاً!!  
وقال أيضاً: (متقارب)

وليل تغوص براغيثه  
بلحمي، وناموسه أعرض  
إذا شربوا من حميا دمي  
تري ذا يغني، وذا يرقص!!

وقال أيضاً ابن صارة(٢): (مخلع البسيط)

ليل البراغيث والبعوض  
ليل «طويل» بلا غموض  
فذا ينزي بلا سرور  
وذا يغني بلا عروض!!

(١) ينبغي أن نعود إلى التعليق الذي ينص على أن سلطان البرغوث يكثر مع نزول الغيث. ولا أدري ماذا يقصد بصاحب الشهاب المنصوري، وهل أنه معيار الديلمي صاحب شهاب الدولة منصور (ت 450 = 1058).

(٢) أبو محمد عبد الله بن صارة الششتري، وربما كتب بالسين سارة، سكن إشبيلية وتعيش بالوراقة وتجوّل في بلاد الأندلس. المقرئ: نفع الطيب، تحقيق إحسان عباس، ج ١، ص 499، بيروت 1388 = 1968 - د. حسن الوراكلي: ابن صارة الششتري، تطوان 1406 = 1986.

وفي تاريخ ابن عساكر أنشد أبو العيناء (٦)، لآدم بن عبد العزيز في  
البراغيث ببغداد: (طويل)

تطاول في بغداد ليلى ومن يبت      ببغداد يلبث ليله غير راقد  
بلاد إذا زال النهار تناقزت      براغيثه من بين مثنى وواحد  
وقال آخر: (خفيف)

للبراغيث صار جسمي مقيلا      ففؤادي من شرهم في عذاب  
طفح السكر والشراب عليهم      فتقايوا دمي على أثوابي!!  
وقال آخر: (طويل)

بعوض وبرغوث وبق (٢) لزمني      حسين دمي خمرا فلف بها الخمر!!  
فيرقص برغوث لزمر بعوضة

(٦) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي أديب فصيح من ظرفاء العالم، اشتهر بنوادره وطرائفه... أصله من اليمامة ومولده بالأهواز... ومنشؤه ووفاته بالبصرة، كف بصره بعد الأربعين من عمره... أدركه أجله عام 283 = 896. هذا وقد روى الشعر عند الجاحظ هكذا:

بلاد إذا جن الظلام تقافزت      براغيثها من بين مثنى وواحد

- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4، ص 33.

(٢) ينبغي لكي نقدر فظاعة مثل هذه الهوام أن الفقهاء يذكرون أن البق عيب من عيوب الدور يخول الإقالة في البيع، قال راجزهم:

والبق عيب من عيوب الدور      ويوجب الرد على المشهور

هذا ولم يفت الفقهاء أن يخصصوا حيزاً كبيراً للدم الذي تخلفه البراغيث على ثياب الإنسان وعلى جسمه، وهكذا وجدنا الدميري يذكر أنه يعفى عن قليل الدم في الثوب والبدن لعموم البلوى به وتعذر الاحتراز منه... والحكم على هذا النحو فيما يتصل بالبق والبعوض وما

وقال آخر: (كامل)

رقصت براغيث الشتا فأجابها (م) الناموس يشدو بالغناء المعلم  
وتواجد البق الكثيف لطبعه طربا على شرب المدامة من دمي!

وقال آخر: (بسيط)

ليل البراغيث ليل لانفاد له لا بارك الله في ليل البراغيث!  
كأنهن بجسمي مذ حلن به بدءا الشهود على مال المواريث(١)!!

وقال بعض الأعراب (2)، يصف البراغيث وقد سكن مصر: (طويل)

تطاول بالفسطاط (3) ليلي ولم أكن بأرض الغضا ليلي علي يطول

= أشبهه... ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام موقف أشبه بهذا الذي ذكرناه، وقد أفادنا الشيخ الألباني في (تقييده) أن هناك في أقوال السلف ما يدعم هذا القول، قال: ويحضرني في ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن طريق عبد الرحمن بن أبي نعيم قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: فمن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلي هذا يسألني عن دم البعوض. وقد قتلوا ابن النبي ﷺ... وسالم بن عبد الله بن عمر هو الذي قال: يأهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة!!

(١) يروي الجاحظ هذين البيتين على هذا النحو:

ليل البراغيث عنائي وانصيني لا بارك الله في ليل البراغيث  
كأنهن وجلدي إذ خلون به أيتام سوء أغاروا في مواريث!

- الزركلي: الأعلام ج 9، ص 203.

(2) نسب الجاحظ البيتين لأبي الرماح الأسدي: انظر كتاب الحيوان بتحقيق عبد السلام

محمد هارون، ص 389.

(3) كانت الفسطاط من أجل المدائن، أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر سنة 22 من

الهجرة وهي أقدم من القاهرة، كان بها عدة مساجد محكمة البناء وعدة حوانيت وحمامات ومعاصر ومساكن جليلة... وحدث أنه في عام 564 هـ. جاءت الأخبار بأن الفرنج جاءت إلى ثغر =

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة وليس لبرغوث علي سبيل (1)!!  
 وقال أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخواقيني الكاتب (2)، في  
 البرغوث: (وافر)  
 وأحذب ضامر يسري بليل إلى النوام مفتتن الجفون  
 تسلمه الثلاثون اختماراً إلى سبعين في أسر المنون (3)!!

= دمياط في سبعين مراكباً... ثم كسروا عساكر الفسطاط ودخلوا القاهرة من خلف السور...  
 وصاروا يقتلون من وجدوه من المسلمين وفرضوا على أهل مصر والقاهرة أموالاً جزيلة فعندئذ أشار  
 الوزير (شاور) على الخليفة بإحراق الفسطاط خوفاً من أن يستولي عليها الفرنج فأذن لهم في حرقها  
 حيث استمرت النار طوال شهرين فكان يرى دخانها من مسيرة ثلاثة أيام... وتحول الناس إلى  
 القاهرة... ابن إياس: بدائع الزهور، طبعة الهيئة العامة للكتاب 1402=1982، ص 232.  
 (٦) نسبت هذه الأبيات في كتاب الحيوان للجاحظ إلى أبي الرماح الأسدي، وقد روي  
 البيت الأول هكذا:

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن بحنو الغضى ليل علي يطول  
 هذا وقد ذكرت بهذين البيتين أيامي في السجن في أعقاب المطالبة باسترجاع الاستقلال  
 عام 1944، عندما كنا نصلى بجحيم هذه الطفيليات وقد كان مما أنشدته:

على كل خيط من قميصي قملة تروح عني رغمي بجسمي تنحت  
 فأحصدها في منجل الظفر بكرة وعند المسالم أدريها كيف تنبت؟!

(2) كان أبو منصور هذا فرضياً حاسباً وهو منسوب إلى خوفاً من نواحي نيسابور،  
 سكن بغداد وبها أدركه أجله عام 480=1087 من كتبه خلق الإنسان، رتبته على حروف  
 المعجم.

- ابن خلكان: الوفيات ج 1، ص 96/97.

- الزركلي: الأعلام ج 4، ص 223/222.

(3) راجع التعليق السابق [ص 249] حول حساب العقد الذي كان مستعملاً عند

العرب لأداء الأرقام...

وقال ابن دريد في أماليه (1): أنشدنا الرياشي، قال: بلغني أن ابن أبي الزوائد، قال وهو ببغداد: (خفيف)

يا بن يحيى (2) ماذا بدا لك؟ ماذا؟  
 أمقاماً أرادت أم انجباذا؟  
 قالبراغيث قد تنور منا  
 سامر ماتلود منه ملاذا  
 فنحك الجلود طورا فتدمى  
 ونحك الصدور والأفخاذا  
 فسقى الله طيبة الوبل سحا  
 وسقى الكرخ والهراة الرذاذا

وقال مجد الدين المبارك بن كامل بن منقذ (3)، في البراغيث: (بسيط)

(1) هو محمد بن الحسن بن دريد الأردني من أئمة اللغة العربية والأدب، صاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان، فأقام بعض الوقت ثم رحل إلى نواحي فارس، ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي، وهناك أدركه أجله عام 391=933، من كتبه الجمهرة، وتقويم اللسان والأمال، ذكر أنه كان مواظباً على شرب الخمر، قال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي لما نرى عنده من العيدان والشراب المصفي، أما الرياشي فهو العباس بن الفرج ابن علي بن عبد الله الرياشي البصري، لغوي، راوية عارف أيام العرب، وقد أدركه أجله بالبصرة أيام فتنة صاحب الزنج عام 257=871، له كتاب «الإبل والحيل» وغير ذلك مما روى عنه الميرد...

(2) القصد إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (ت 187=803) وزير هارون الرشيد، انقادت له الدولة، فكان يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرامكة فكان في مقدمة الذين صفاهم... والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس.

(3) أورد الدميري هذين البيتين كلغز، وهما منسوبان لمجد الدين أبي الميمون الكتاني، ولا شك أن القصد إلى سيف الدولة ابن منقذ، المسمى المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكتاني، كان معاصراً للأمير مهرف مرفه صلاح الدين إلى المغرب وهو من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ولد بقلعة شيزر، وذهب مع توران شاه إلى اليمن وناب عنه في زبيد عام 569... ثم رحل إلى دمشق ثم إلى مصر... للشعراء فيه كثير من المدائح، أدركه أجله بالقاهرة عام 589=1193.

=

ومعشر يستحل الناس قتلهم  
إذا سفكن دما منهم فما سفكت  
وقال بعضهم: (سريع)

لأتسبب البرغوث إن اسمه  
فبره مص دم فاسد(1)

= هذا وقد أورد الجاحظ مجموعة مهمة من الشعر الذي قيل في البرغوث مما يدل على أن هذا الحيوان - على صغر حجمه - ظل مشغلة للناس مقلقاً لراحتهم في أعز الأوقات التي يشدون فيها راحتهم.

وهكذا روي لخبوب بن أبي العشنط قطعة كان منها قوله:

الليل نصفان: نصف للهموم فما أقضي الرقاد، ونصف للبراغيث

ونقل عن آخر قوله:

لقد علم البرغوث حين يعضني ببغداد أنني بالبلاد غريب!

وعن آخر قوله:

وإن امرأ تؤذي البراغيث جلده ويخرجنه من بيته للذليل !! إلخ

وبدوره أورد الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى طائفة من الأثعار كان فيها ما لم يأخذه السيوطي، وقد كان من لطائف ذلك ما قاله أبو الحسن بن سكرة الهاشمي المتوفى سنة 385، في مליح يعرف بابن برغوث:

بليت ولا أقول بمن؟ لأنني متى ما قلت من هو يعشقه!  
حبيب قد نفي عني رقادي فإن أغمضت أيقظني أبوه !!

(١) يتحدث العلم الحديث عن الحذر ما أمكن من لسعة البرغوث التي قد تكون سبباً في

نقل أمراض خطيرة إلى الإنسان، أبرزها الطاعون والتيفوس والحمى.

وقال عز الدين أحمد بن موسى بن قرصة الفيومي (1): (بسيط)

لا تحقرن من الأعداء من قصرت يدها عنك وإن كان ابن يومين!  
فإن في قرصة البرغوث معتبرا فيها أذى الجسم والتسهير للعين!

وقال السيد محمد بن فضل الله بن كاتب المرج (2): (طويل)

لمن أشتكى البرغوث، يا قوم؟ إنه أراق دمي ظلما وأرق أجفاني!  
وما زال بي كالليث في وثباته إلى أن رماني كالقتيل وعراني!!  
إذا هدأت في صبرت تجلدا ويخرج عقلي حين يدخل آذاني!!

وقال الصلاح الصفدي (3)، في (أعيان العصر): ذكر أصحاب  
الخواص أن البرغوث إذا دخل في أذن أحد وضع الإنسان أصبعه في سرتة،  
وقال: سبقتك فإن البرغوث يخرج منها!

وقال أبو عامر بن شهيد (4)، يصف برغوثاً: «أسود زنجي وأهلي

(1) أحمد بن موسى بن محمد عز الدين المعروف بابن قرصة: أديب مصري كثير النظم،  
كان لا يتكلم إلا معرباً، مولده الفيوم، كان ناظراً للديوان بقوص وبها أدركه أجله عام 710 =  
1311، له ديوان شعر وكتاب من الأدب اسمه «كتف المذاكرة وتحف المحاضرة».

(2) [هو محمد بن فضل الله بن أبي نصر القبطي، سيد الدين المعروف بابن كاتب المرج  
الصعيدي، تعانى الآداب والكتابة، ونظم الشعر، وولي وكالة بيت المال بقوص. مات سنة بضع  
وأربعين وسبع مئة. اظر ترجمته في الدرر الكامنة 5/ 395 - 397. / المجلد].

(3) الصلاح الصفدي هو خليل بن أيك بن عبد الله أديب مؤرخ كثير التصانيف المتمعة  
على نحو السيوطي، ولد في صفد بفلسطين وتعلم بدمشق... وتولى ديوان الإنشاء في صفد  
وحلب ومصر وأدركه أجله بدمشق وهو يتولى وكالة بيت المال عام 764 = 1363 له زهاء مئتي  
مصنف، منها الوافي بالوفيات...

(4) أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد من أشجع فهو أبو عامر الأشجعي وزير أكابر  
الأندلسيين أديباً وعلماً مولده ووفاته بقرطبة عام 426 = 1035، له تصانيف بديعة... منها حانوت  
عطار، والتوايع والزوايع، الأخيرة في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تأليف ابن بسام =

وحثسي: ليس بوان ولا زميل، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل، أو شونيزة أو بنتها عزيزة، أو نقطة مداد، أو سويداء قلب فؤاد، شربه عب، ومشيه وثب، يكمن نهاره، ويسري ليله، يدارك بطعن مؤلم، ويستحل دم كل كافر ومسلم، مساور للأساورة، يجر ذيله على الجابرة، يتكفر بأرفع الثياب، ويهتك ستر كل حجاب، ولا يحفل (١) ببواب، يرد مناهل العيش العذبة! لا يمنع منه أميراً ولا ينفع فيه غيرة غيور، وهو أحقر كل حقير، شره مبثوث، وعهده منكوث، وكذلك كل برغوث! كفى بهذا نقصاً للإنسان، ودالاً على قدرة الرحمن...! « في مفردات ابن البيطار عن ابن زهر (٢)، أن شحم الثعلب إذا طلى به سوط أو عود وجعل في إحدى زوايا البيت فإن البراغيث يجتمعن عليه.

### انتهى التأليف وتمّ والله أعلم

= 542. القسم الأول المجلد الأول، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان - ص 295، بئمة الدهر ج 2 ص 53.

(١) لا يحفل: لا يكثر...

(٢) هذا كلام نقله ابن البيطار عن خواص ابن زهر - وليس ابن زهير كما في المخطوط، هذا ويلاحظ أن في عداد مييدات الحشرات والهوام اليوم نصب نحو شريط ملطخ بمادة لزجة تغري البعوض والذباب وما أشبه بلحسها فتلتصق بها...

وقد ورد في الديميري ما يقرب من هذا حيث أورد فائدة مجربة للقضاء على البراغيث وهي أن تأخذ قصبه فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها في وسط الدار فإنها تجتمع إلى العود.

- ابن البيطار: الأول من كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبعة القاهرة 1291-

1875